مجلة المجمع العلمي

تشبيه التمثيل
بين السكاكي وإستدراكات القزويني

الدكتورة سندس عبد الكريم هادي
الكلية التربوية ــ المفتوحة

الملخص :

سارت البلاغة متطورة عبر تاريخ طويل ، إلى ان أصبحت علماً ذا قواعد وأحكام وفروع وأقسام ، يقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين (إعلم علمك الله الخير ، ودلك عليه ، وقيض هلك ، وجعلك من أهله أن أحق العلوم بالتعلم ، واولاها بالتحفظ ــ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ــ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ....) وإذ برزت البلاغة علما ثمرة لجهود علماء أجلاء ، وكان السكاكي من أبرز العلماء في القرن الثالث ، حيث ألف كتابه (مفتاح العلوم) ثم جاء بعده الخطيب القزويني وألف كتاب (تلخيص المفتاح) وهو تلخيص القسم الثالث لكتاب المفتاح ، ثم أنه رأى أن تلخيصه متن محدود موجز ، فالف كتابه (الإيضاح) وفيه تفصيل ، وقد إستدرك فيه على أستاذه السكاكي في بعض موضوعات البلاغة وخالفه فيها . وأفرد في كتابه فصلا جمع فيه إعتراضاته على أستاذه ومنها إستدراكاته في مبحث تشبيه التمثيل ، فيما وافق أستاذه أو اختلف فيه معه ، هذا ما عرضنا له في بحثنا هذا .

المقدمـــة :

تميزت علوم البلاغة إلى ثلاثة علوم ، وهي المعاني والبيان والبديع، ولكل علم موضوعه ومسائله ، فعلم المعاني موضوعه الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى ذهن السامع . وعلم البيان موضوعه الاحتراز عن التعقيد المعنوي أي أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد . وعلم البديع المراد به تحسين الكلام بالمحسنات المعنوية واللفظية .

وقد بدأت الكتابة في هذه العلوم من دون تمييز بينها ومن دون تحرير لمسائلها ، فقد زخر علم البلاغة بعلماء أجلاء بذلوا فيه جهدهم وأفرغوا فيه طاقتهم وأجادوا فيه ، ومن أقدم ما بلغنا من هذه الكتابات : كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ 255هـ ، وكتاب(الصناعتين) لأبي هلا العسكري 395هـ ، وأول من ميَّزَ مسائل هذه العلوم هو عبد القاهر الجرجاني 471هـ في كتابيه (أسرار البلاغة) في علم البيان و (دلائل الإعجاز) في علم المعاني . إلا أنه لم يستوف مسائل هذه العلوم . حتى جاء أبو يعقوب يوسف السكاكي 626هـ فأستكمل مسائل هذا الفن وهذبها ورتب أبوابه ، وذلك في كتابه (مفتاح العلوم) وهو يشتمل على عدة فنون .

وصار المفتاح أساسا لكل ما كتب بعده في علم البلاغة ، وقد لخص جلال الدين القزويني 739هـ القسم الثالث من المفتاح الخاص بالبلاغة في كتابه (تلخيص المفتاح) ثم شرحه في كتابه (الإيضاح شرح التلخيص) ، واعتمد القزويني في شرحه (الإيضاح) على كلام السكاكي

في (مفتاح العلوم) وانتقده واستدرك عليه ، كما اعتمد على كلام عبد القاهر الجرجاني

في كتابيه ، وكل هذه الكتب مطبوعة وكان لكل من هؤلاء العلماء رأيه وذوقه وفهمه وفكره مما جعل الاختلاف بينهما واردا ومحتملا ..... ولهذا كان لابد من المقابلة بين هذه الاستدراكات والاختلافات حتى نميز بين الصحيح من الخطأ ، لفهم البلاغة العربية وضبط قواعدها .

وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي يحوي أصولا لعلوم شتى ، وقد جمع فيه مؤلفه خمسة فنون قيل إنه أراد أن يجمع عدة للناقد والأديب تخدمه في فنه فقد بدأ بعلم الصرف ثم علم النحو ثم تحدث عن علم المعاني والبيان والحق بهما حديثا عن الفصاحة ، وقد أخذ هذا القسم من كتب الجرجاني والزمخشري والرازي ، ثم عقب هذه الأقسام بحديث عن المنطق ثم ختم بقسم العروض والقوافي .

لقد نال هذا الكتاب منزلة رفيعة عند علماء العربية ، وأكثر ما أشتهر من كتابه قسم البلاغة وهو القسم الثالث ، فهو الذي أبقى ذكر المفتاح حاضرا على مر العصور . فقد قال عنه الخطيب القزويني في قسم البلاغة : ((أعظم ما صنف فيهِ من الكتب المشهورة نفعا لكونه أحسنها ترتيبا وأتمها تحريرا وأكثرها للأصول جمعا)) [1].

والسكاكي في هذا القسم بلغ الغاية من الدقة والضبط فحد حدود المصطلحات وبيَّنَ أقسامها ، ويعد وضعهُ وتصنيفهُ الوضع الذي استقرت عليه البلاغة إلى وقتنا الحاضر ، فقد جعل البلاغة علما بأدق معاني كلمة

---

[1] تلخيص المفتاح ص : 23

علم ، ولكنه قعد القواعد وترك المجال لغيره في إيراد الشواهد وتحليلها وتطبيق هذه القواعد عليها .

وقد اختصر قسم البلاغة في المفتاح اختصارات عدة من أهمها وأولها كتاب بدر الدين بن مالك 686هـ ((المصباح في اختصار المفتاح)) وبعده كتاب الخطيب القزويني 739هـ (التلخيص) وكتاب عضد الدين الإيجي 756هـ (الفوائد الغياثية) .

و (تلخيص المفتاح) هو تلخيص للقسم الثالث لكتاب مفتاح العلوم ، ثم رأى أن تلخيصهُ متن محدود موجز فألف كتابه (الإيضاح) وفيه تفصيل ، وهو ليس شرحا للتلخيص وإنما هو كما قال (جعلته كالشرح) لأنه قدم وأخر ، وبدل و غير ، وطعمه بتحليلات الجرجاني ، واستنباطات الزمخشري في الكشاف ، وضوابط السكاكي ، وأضاف شيئا من منطقه وتحليلاته وتحديداته ، إلا أنه استدرك على أستاذه السكاكي في بعض موضوعات البلاغة وخالفه فيها وافرد فيه فصلا جمع اعتراضاته على استاذه .

تقسيمات السكاكي لعلوم البلاغة

أولا : علم المعاني قسم الكلام إلى خبر وطلب ، وجعل الطلب شاملا للاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء[2] . أما الخبر فقد تناول فيه الإسناد الخبري ولمسند والمسند إليه ، والفصل والوصل والإيجاز والإطناب [3].

---

[2] ينظر : البلاغة تطور وتاريخ الدكتور شوقي ضيف ص: 298

[3] ينظر : المصدر نفسه ص : 298

ثانيا : علم البيان لم يُدخل التشبيه ضمنه ، لأن دلالته ــ عنده ــ وضعية وإنما علل دراسته في هذا الجزء بأن الاستعارة مبنية على التشبيه ، وقد تبع الرازي في ذلك [4]. ثم تناول الاستعارة والمجاز وقسمهما [5].

وقد صنف السكاكي كتابه (المفتاح) بعد إطلاعه على كتب الجاحظ وقدامه بن جعفر ، أما كتابا عبد القاهر الجرجاني فهما الأساس الذي أرسى عليه قواعد القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) الذي هو المقصود من التأليف في مسائل البلاغة ، وقد أقدم الخطيب القزويني على تلخيصه وكشف مخبوئه من كنوز الدرس البلاغي بعد أن أُعجب بهِ ، ما جعلهُ أهم مراحل التحول والاستقرار للنظرية البلاغية ثم وضح تلخيصهُ بكتابه الثاني (الإيضاح) [6] ، يقول القزويني في سبب تأليفه (أما بعد ،فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرا ، وأدقها سرا ،إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها ، وكان القسم الثالث من مفتاحِ العلوم الذي صنفه العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صُنِّفَ فيه من الكتب المشهورة نفعا ، لكونه أحسنها ترتيبا وأتمها تحريرا ، وأكثرها للأصول جمعا ، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلا للاختصار ، ومفتقرا إلى الإيضاح والتجريد ، ألفت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ،..... وسميته تلخيص المفتاح))[7] .

---

[4] المصدر السابق ص:301

[5] ينظر المصدر السابق ص : 303ــ **10**

[6] ينظر : الموجز في تاريخ البلاغة ص : 112

[7] التلخيص ص: 2ــ 3

ويقف فقط التلخيص على علوم البلاغة ووجوهها .

وقد رتبها المصنف كما يأتي بعد الفوائد التي أضافها ، ليصبح الكتاب من أعظم ما صُنفَ في علم البلاغة نفعا وتأثيرا :ــ

ــ الفن الأول : علم المعاني ، وفيه ثمانية أبواب

1. أحوال الإسناد
2. أحوال المسند إليه
3. أحوال المسند
4. أحوال متعلقات الفعل
5. القصر
6. الإنشاء
7. الفصل والوصل
8. الإيجاز والإطناب والمساواة

ــ الفن الثاني : علم البيان وفيه

1ــ التشبيه

2ــ الاستعارة

3ــ الكناية

ــ الفن الثالث : علم البديع ، وقد جعله في فصلين .

الأول خاص بالمحسنات المعنوية ويتضمن كلاما في ما يقرب من ثلاثين ضربا بديعيا .

والثاني خاص بالمحسنات اللفظية ويتضمن كلاما في نحو خمسة عشر ضربا بديعيا .

ثم رأى القزويني أن هذا الملخص لا يفي بالغرض ، وان التلخيص فيه زاد عن المطلوب فعاد ليضع كتابه الثاني (الإيضاح) الذي يقول في سبب تأليفه (أما بعد ، فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ــ ويعني بها علم البديع والكلام في السرقات الشعرية ، ــ ترجمته بـــ (الإيضاح) وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته (تلخيص المفتاح) وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له ، فأوضحت مواضعة المشكلة ، وفصلت معانيه المجملة ، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم) وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، فاستخرجت زبدة ذلك ، وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كل شيء منها في محله ، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ، ولم أجده لغيري ، فجاء بحمد الله جامعا لأشتات هذا العلم) [8].

مميزات كتاب الإيضاح :

ونستطيع أن نجمل مميزات كتاب الإيضاح بما يأتي :ــ

1. هو أوضح الكتب المؤلفة فيه نظاما وأسلوبا .
2. أنه كنز البحث والتعمق والاستنباط لأسرار البلاغة العربية .
3. أنه كتاب تطبيقي جليل في البلاغة .
4. ينقد فيه القزويني كثيرا من آراء السكاكي .
5. كتاب غزير المادة ، كبير الفائدة في الأدب والنقد والبيان والبلاغة ، حتى أصبح المعول عليه في الدرس البلاغي إلى وقتنا الحاضر .

---

[8] مقدمة الايضاح ص : 9

وقام القزويني بشرح كتابه (التلخيص) بكتاب أسماه : الإيضاح في المعاني والبيان ، او ما عرف بإيضاح التلخيص ، شرح فيه نكت (التلخيص) وغوامضه ووشاها بالأمثلة والشواهد الموضحة ، وجعله على ترتيب كتاب (التلخيص) وكان بذلك خير كتاب وضعه القدماء في علوم البلاغة العربية .

من استدراكات الخطيب القزويني في تشبيه التمثيل

عالج تشبيه التمثيل كثيرا من الأدباء والنقاد ، قبل أن يتناوله البلاغيون بتجديداتهم وتقسيماتهم واختلافاتهم حول هذا الفن من فنون البيان .

ومن أقدم الذين عرضوا لذلك قدامة بن جعفر الذي جعله من جملة نعوت (ائتلاف اللفظ مع المعنى) وقال فيه (والتمثيل هو إيراد الإشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه والعبارة عنه)[9].

أما أبو هلال العسكري فقد تحدث عنه تحت اسم المماثلة ، وأورد له كثيرا من الشواهد الأدبية التي تشمل كثيرا من الصور البيانية ، كالتشبيه الاصطلاحي والكناية والمجاز والاستعارة[10].

وقد جعله ابن رشيق القيرواني ضربا من الاستعارة وقال (والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه)[11]، ولم ير ابن الأثير فرقا بين التشبيه والتمثيل ، حيث يقول (وجدت علماء البيان قد

---

[9] جواهر الالفاظ قدامة بن جعفر ص : 7

[10] الصناعتين ابو هلال العسكري ص: 353

[11] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن قتيبة ج 1:280

فرقوا بين التشبيه والتمثيل ، وجعلوا لهذا بابا مفردا وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ، فيقال : شبهت هذا بهذا الشيء ومثلته بهِ ، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه)[12].

وظل مفهوم التمثيل عاما حتى جاء عبد القاهر الجرجاني ، فحدد مفهومه ، وفرق بينه وبين التشبيه الاصطلاحي ، وكشف النقاب عن بلاغته ، وأوضح أهميته ، فقد قال عن التمثيل أنه : (يعمل عمل السحر في تأليف المتباين ما بين المشرق والمغرب ، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة ، وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان الأعجم ويريك الحياة في الجماد ن ويريك التئام عين الأضداد ، ويجعل الشيء قريبا بعيدا معا) [13]

مقسما التشبيه إلى ضربين :ــ

احدهما : أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمر بيِّن لا يحتاج فيه إلى تأويل وهذا هو التشبيه الأصلي .

ثانيهما : أن يكون التشبيه محصلا بضرب من التأويل وهذا هو التشبيه التمثيلي ، أو التمثيل .

ولذلك فكل تشبيه يكون فيه حسيا مفردا أو مركبا أ، كان من الغرائز والطباع العقلية الحقيقية هو (تشبيه غير تمثيلي) ، وكل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا مفردا او مركبا غير حقيقي ومحتاجا في تحصيله

---

[12] المثل السائر ابن الاثير ص: 373

[13] اسرار البلاغة الجرجاني ص: 84

إلى تأويل هو (تشبيه تمثيلي) وهذا هو الفرق بين الضربين وان كان الأول عاما والثاني خاصا ، ولذلك قال (كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا) ثم أقام بينهما الحواجز الحصينة حتى لا يلتبس أحدهما بالآخر ، والتشبيه التمثيلي عند عبد القاهر هو ما لا يكون وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى تأويل وصرف عن الظاهر لان المشبه غير مشارك للمشبه به في حقيقة وجه الشبه الظاهري وجنسه بل في مقتضاه ولازمه .

يقول عبد القاهر الجرجاني (ومثال الثاني :وهو أشبه الذي يحصل بضرب من التأول ، كقولك هذه حجة كالشمس في الظهور ، وقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها كما شبهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما ، إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول ..... كالعسل في الطبع إليه ، ويحب وروده عليه فهذا كله تأول ، وردُّ الشيء إلى شيء بضرب من التلطف ، وهو ادخل قليلا في حقيقة التأول ، وأقوى حالا في الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس وأما ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حتى لا يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع) [14]

فاذا قلت : الفاظ فلان كالعسل في الحلاوة : فان الحلاوة وجه شبه ظاهري فقط لان المشبه به وهو (العسل) الذي يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة ، بخلاف المشبه وهو (الالفاظ) فإنه لا يوصف بالحلاوة

---

[14] المصدر نفسه ص : 34 .

على سبيل الحقيقة ولذا يحتاج الى التأول بارادة ما تستلزمه الحلاوة من قبول النفس للشئ وحسن وقعه فيها .

ومن امثلة التمثيل عند القزويني والجمهور أبيات ابن المعتز وابن عبد القدوس وقول بشار: ــ

ــ كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ووجه الشبه في البيت حسي وإن كان مركبا

ولا كذلك الحسي ، فالذي يشبه الادهم بالغراب في السواد يرى السواد في المشبه كما يراه في المشبه به من دون ان يحتاج إلى تأول بصرف اللفظ عن ظاهره .

وورد في مكان آخر قوله (وهو التشبيه المنتزع من مجموع امور ، والذي لا يحصله لك إلا جملة من الكلام أو اكثر .... فاذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس والغرائز والطباع وما يجري مجراها من الاوصاف المعروفة ، كان حقها ان يقال إنها تتضمن التشبيه ، ولا يقال إن فيها تمثيلا وضرب المثل) .[15]

وقد قال العصام في الاطول [16] (ان الشيخ قيده في اسرار البلاغة بكون الوجه عقليا حيث قال : التمثيل التشبيه المنتزع من امور وإذا لم يكن التشبيه عقليا لا يقال انه تمثيل) .

---

[15] المصدر نفسه ص : 84 .

[16] الاطول للعصام ص:113 .

فالتشبيه عند الجرجاني محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزي سواء أكان مفردا كـــ (كلامه كالعسل في الحلاوة) ام مركبا ...

اما السكاكي فقد قسم التشبيه من حيث وجه الشبه الى : تشبيه تمثيلي ، وتشبيه غير تمثيلي .

والتشبيه التمثيلي عنده :(متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل) [17] أي ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقايا غير حقيقي .

فقد اتفق السكاكي مع الجرجاني في كون وجه الشبه في التمثيل عقليا غير حقيقي ، وخالفه بحيث قصره على المركب فقط دون المفرد يقول الدكتور احمد مطلوب : (كان عبد القاهر اول من اظهر فضل التمثيل ... من اجل التشبيه والتمثيل) [18].

إن السكاكي لا يقصد بذلك وجه الشبه العقلي المنتزع من عدة امور كما يرى بعض الباحثين وانه لا يختلف عما ذهب اليه عبد القاهر الا في انه قد قصره على لمركب دون المفرد ، بل يقصد به ما يقيمه المبدع في مخيلته من وصف يجمع بين الطرفين ليس متحققا فعلا في احدهما أو فيهما معا ، وإنما تصورا أو توهما ، ومن ثم فهو يختلف عن الوجه العقلي الحقيقي ، حيث يكون صفة حقيقية في المشبه أو المشبه به [19].

---

[17] مفتاح العلوم السكاكي ص : 46 .

[18] المصدر نفسه 346 .

[19] ينظر البلاغة والاسلوبية عند السكاكي ص: 262 .

إذ يقول السكاكي : (والذي نحن بصدده من الوصف غير الحقيقي أحوج منظور فيه الى التأمل الصادق من ذي بصيرة نافذة ، وروية ثاقبة لالتباسه في كثير من المواضع بالعقلي الحقيقي) [20].

ففي قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) [21].

يقول فيها السكاكي : (فان وجه تشبيه المنافقين بالذي شبهوا بهم في الآية هو رفع الطمع الى تسني مطلوب بسبب مباشره أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب ، وانه أمر توهمي كما ترى منتزع من أمور جمة) [22].

ويقول الخطيب : (فان تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في امر حقيقي منتزع من متعدد وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب) [23] .

ومن أمثلته قول الشاعر :ــ

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنـــار تأكـــــل نفســـها إن لم تجد ما تاكله

---

[20] مفتاح العلوم السكاكي ص:349 .

[21] سورة البقرة : الآية 17 .

[22] مفتاح العلوم :ص 347 .

[23] الايضاح : ص 270 .

فيرى السكاكي : (ان تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس إلا في أمر متوهم له ، وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه في المقاولة مع علمك بتطلبه إياها عسى إن يتوصل بها الى نفثة مصدور من قيامه ــ إذ ذاك ــ مقام ان تمنحه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك وانه كما ترى منتزع من عدة أمور) [24].

أما الخطيب فيقول : (فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطلبه إياها لينال بها نفثة مصدور بالنار التي لا تمد بالحطب في أمر حقيقي منتزع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء) [25].

فمما سبق نلحظ أن الخطيب تبع السكاكي في قصر التشبيه التمثيلي على ما كان وجهه مركبا ، إلا انه خالفه بإضافة المركب الحسي مع المركب العقلي فقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى قسمين : تشبيه تمثيلي وتشبيه غير تمثيلي ، وعنده التمثيلي ((ما كان وجهه وصفا منتزعا من متعدد أمرين أو أمور) [26] وهذا يتحقق في كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء أكان ذلك الوجه حسيا أم عقليا . كقول الفرزدق

ــ والشيب ينهض في المشيب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

فقد شبه هيئة ظهور الشيب في الشاب بهيئة ظهور الصبح في جوانب الليل ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اختلاط البياض بالسواد ، فوجه الشبه مركب حسي .

يقول الخطيب (فان وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شئ مظلم أسود فهي غير موجود في

---

[24] مفتاح العلوم : ص 154 .

[25] الايضاح : ص 270 .

[26] المصدر نفسه : ص 239ــ 240 .

المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلك انه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة فلا يهتدي إلى طريق ولا يفصل الشئ من غيره فلا يأمن من أن يتردى في مهواة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة شبهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن تشبيه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور) [27] ويقول أيضا : (فالتأويل فيه نه تخيل ما ليس بمتلون متلونا ، ويحتمل وجها آخر وهو أن يتأول بأنه ..... في مرآة عقله جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك غير انه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر لان الظاهر ان يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس) [28].

من هنا نجد أن وجه الشبه إذا كان على هيئة حسية تدرك بالحواس الخمس الظاهرة فهي من قبيل التمثيل عند الخطيب وهي ليست من قبيل التمثيل عند الجرجاني والسكاكي . أما في قوله تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء فاختلط بهِ نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرنا ليلا أَو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تَغْنَ بالأمس كذلك نفصلُ الآيات لقومٍ يتفكرون) [29].

شبه الله تعالى حال الدنيا في سرعة زوالها ، وانقراض نعيمها بعد إقبالها ، وإغترار الناس بها ، وركونهم إليها بحال نبات الأرض ذهبت نضرته فجأة فجف وصار حطاما بعدما زها ، وألتف وتكاثف وزين الأرض بخضرته وعم نفعه الانسان والحيوان ، وأطمأن الناس إلى ثمره ، وظنوا انه قد سلم من الجوائح ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سرعة

---

[27] الايضاح : ص 270 .

[28] الايضاح ص239-240 .

[29] سورة يونس : الاية 24.

الزوال وعن انقراض النعيم بعد الإقبال ، وقد صرح السكاكي بأَنَّ الآية تدخل في باب ما كان وجهه مركبا تركيبا عقليا .

وقد استدرك الخطيب على السكاكي في تشبيه التمثيل ، إذ قسم السكاكي التشبيه من حيث البساطة والتركيب إلى قسمين :

1ــ تشبيه مفرد بمفرد

2ــ تشبيه مركب بمركب

ثم قسم القسم الثاني إلى فرعين :

1ــ تشبيه مركب : وهو ما يكون الوجه فيه ماخوذا من امرين أو أكثر .

2ــ تشبيه التمثيل : وهو ما كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص بأسم التمثيل[30] أي مركبا عقليا .

فالسكاكي يرى التمثيل ما كان وجهه مركبا عقليا ، وهو عنده ــ ايضا ــ مركب الطرفين . في حين خالف الخطيب أستاذه في ذلك ، وقرر أنه يمكن ان يكون الوجه مركبا من طرفين مفردين ، كقول قيس بن الأسلت :

ــ وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

يقول السعد : (الطرفان مفردان لان المشبه هو الثريا والمشبه به هو العنقود مقيدا بكونه عنقود الملاحية في حال إخراج النور والتقييد لا ينافي الافراد) [31] .

ووجه الشبه في(الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة الى مقدار مخصوص) [32].

---

[30] الايضاح ص253 .

[31] المختصر ص: 187.

[32] الايضاح ص247.

المصادر :

ــ القرآن الكريم

1ــ أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني (471هــ او 474هــ) ، تحقيق : هــ ريتر ، دار المسيرة بيروت ، 1979م . وهناك تحقيق محمد عبدة ومحمد رشيد رضا ، مكتبة محمد علي صبيح ، مصر ، 1959م وتحقيق للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، 1976م .

2ــ الأطول في شرح تلخيص المفتاح ، العصام الاسفراييني ،ابراهيم بن محمد ، تحقيق وترجمة عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 2 مجلد .

3ــالايضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن القزويني (379هــ) ، تحقيق لجنة من اساتذة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، القاهرة ، بإشراف محمد محيي الدين عبد الحميد .

4ــ البلاغة تطور وتاريخ الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، 1965م .

5ــ البلاغة عند السكاكي الدكتور احمد مطلوب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1964م .

6ــ البلاغة والاسلوبية الدكتور محمد عبد المطلب ، القاهرة ، 1994م .

7ــ التلخيص محمد بن عبد الرحمن القزويني (739هــ) ضبط وشرح : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1904م ، تصوير عن نسخة المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر .

8ــ جواهر الالفاظ ابو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 1985م .
9ــ كتاب الصناعتين ابو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1952م .
10ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1939م ، وطبعه الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، القاهرة .
11ــ المختصر سعد التفتزاني / دار الفكر / ط 1 1411هـ .
12ــ الموجز في تاريخ البلاغة ، الدكتور مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، 1979م .
13ــ مفتاح العلوم السكاكي ، القاهرة ، 1956م .